مادة (العقيدة) - المحاضرة رقم (٥)
الصفحات رقم (٢٥) : (٢٨)
لفضيلة الشيخ/ د. أبو زيد بن محمد بن محمد مكي القبي

أصول أهل السنة في إثبات مسائل العقيدة

تغطي هذه المحاضرة شرحاً لما جاء في كتاب مقرر العقيدة الإسلامية من قوله :(أصول أهل السنة في إثبات مسائل العقيدة) في الصفحة رقم ٢٥ وحتى قوله: (فهم نصوص الكتاب والسنة الصحيحة) في الصفحة رقم ٢٨.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد وعلي آله وصحبه أجمعين

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، اللهم علمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا، واجعله حجة لنا، ولا تجعله حجة علينا يارب العالمين.

وبعد..

أيها الإخوة فى الله، درسنا اليوم هو الدرس الخامس من مادة العقيدة في أكاديمية زاد عن أبرز صفات أهل السنة والجماعة المتعلقة بالنصوص الشرعية، مقارنةً مع صفات أهل البدعة والضلالة.

أيها الأحبة فى الله، اليوم سنأخذ المقارنة من ناحية الموقف من النصوص الشرعية على أربعة أمور :

١. من ناحية التعظيم والتسليم.
٢. من ناحية العمل بجميع النصوص.
٣. من ناحية الأحكام والتشابه.
٤. موقف العقل والنصوص الشرعية.

إذًا سنأخذ -بمشيئة الله- من ناحية تعظيم النصوص، ومن ناحية العمل بجميع النصوص، ومن ناحية الأحكام والتشابه، ومن ناحية العقل والنصوص الشرعية.

١. من ناحية التعظيم والتسليم للنصوص الشرعية:

نبدأ بالتعظيم للنصوص الشرعية:

○ موقف أهل السنة والجماعة من النصوص الشرعية (التعظيم والتسليم):

أهل السنة والجماعة ينطلقون في موقفهم من النصوص الشرعية أنها كلام الله سبحانه وتعالى، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وحيٌ من الله، لذلك عندهم هذا الوحي كلام الله، وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- عظيم، فيعظمون ذلك في نفوسهم. فإذا جاءهم الخبر عن الله ورسوله؛ آمنوا، وسلّموا، وإذا جاءهم الطلب عن الله وعن رسوله ؛امتثلوا، فلديهم التعظيم والتسليم للنصوص الشرعية، بخلاف أهل البدعة والضلالة.

○ موقف أهل البدعة والضلالة من النصوص الشرعية (الاستهانة والرد والتحريف):

عندهم ضعف في هذا الجانب، بل عندهم استهانة -عياذاً بالله- بالنصوص الشرعية، بل يصل بهم الأمر إلى ردها رداً صريحاً، فإذا كانت النصوص الشرعية تتعلق بأحاديث آحاد ردوها إذا كانت تخالف معتقداتهم، ولا يعظمون النصوص الشرعية في أخذ العقيدة منها، وهي لا تعتبر لديهم مصدر من مصادر تلقي العقيدة، إنما يستأنس بها في أمور العقيدة، وبعضهم يجعلها في الأمور المتعلقة باليوم الآخر، أو ما يسمونه بالسمعيات، وهكذا، وعندهم بالنسبة للنصوص السمعية -للأسف الشديد- الإستهانة بهذه النصوص الشرعية، فيردون ما استطاعوا رده من أحاديث الآحاد، أما إذا كان قرآن، أو كان متواتراً، وكان هذا الأمر مخالف لما عندهم من الأصول التي بنوا عليها عقيدتهم ؛فإنهم يتسلطون على النصوص الشرعية بالتحريف، ويسمون هذا التحريف تأويلاً، وهو في الحقيقة إلحاد في كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

○ موقف أهل السنة والجماعة: (السلف الصالح):

أيها الاحبة في الله، كان سلفنا الصالح إذا سمعوا كلام الله ،وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- في باب العقائد وفي باب الأخبار" قَالُوا آمَنَّا ". وقد جاءت أحاديث عن الإسراء، عن المعراج أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أُسْرِيَ بِهِ من البلد الحرام إلى بيت المقدس (من جوار الكعبة إلى بيت المقدس). أُسْرِيَ بِهِ في ليلة واحدة، وفي

نفس الليلة عُرِجَ به إلى السماء، ولما أخبِر المشركون بهذا الأمر استعظموه، وكذبوه؛ فأخبروا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقال: "هو قد قال؟" ..

قالوا:" نعم"..

قال :"صدق.. آمنت به" .

○ أهل السنة والجماعة: (الإيمان باليوم الآخر):

وهكذا نحن -أيها الاحبة في الله- من تعظيمنا للنصوص الشرعية أن الأمور العقدية إذا حارت عقولنا فيها؛ فإننا نعظم هذه النصوص ونسلم بما فيها. جاءتنا الأخبار تتعلق فيما يكون في القبر، وأن القبر يكون فيه إقعاد في، ويكون فيه أسئله، وفيه المنكر، وفيه النكير، ثم بعد ذلك يتحول القبر إلى روضة من رياض الجنة، أو إلى حفرة من حفر النار؛ فنحن عندنا نعظم هذه النصوص، ونؤمن بما فيها ونعتقد اعتقادا جاذما أن هذا الأمر حقا و واقع.

وما يكون في اليوم الآخر قصرك -أيها المؤمن- سيكون من تحته أربعة أنهار : نهر من ماء، ونهر من عسل، ونهر من خمر، ونهر من لبن، قصر عجيب، نؤمن بذلك، ونؤمن بأن الإنسان يخلد في الجنة خلود بلا موت، ويبقى شاب لا يكبر سنه، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ولا يصيبه المرض، ولا الضجر، ولا الملل، يبقى متكئاً اتكاؤه سبعين سنة، ولا يتأثر. يأكل أنواع المأكولات؛ ما تشتهيه الأنفس، وتتلذذ به الأعين، يأكل، ثم الإخراج إنما هو جشاء، ورشح كرشح المسك، نؤمن بذلك، وتشتاق نفوسنا له.

وهكذا -أيها الأحبة- فيما يتعلق بالملائكة، والكتب، والرسل، وما يتعلق بالقضاء، والقدر؛ فأهل السنة والجماعة يعظمون تلك النصوص الواردة في هذا الباب، حتى في أمور الطلب، عقيدتنا فيها نؤمن بها، ونمتثلها دون أن نعترض عليها.

○ الصحابة وتعظيم النصوص (بين الاستجابة للطلب والإيمان بالخبر):

يا إخوان، إذا وصل الأمر لهذه الدرجة، انظر إلى درجة التنفيذ بعد ذلك، وما ورد فيها؛ فهذا عثمان بن عفان - رضي الله عنه- تأتيه قافلة ممتلئة بأنوع البضائع في وقت تكاد تكون المدينة فيه فى أمس الحاجة إلى البضائع، ثم



يأتيه التجار من كل مكان، وهو يقول:" هناك من أعطاني أكثر.. هناك من أعطاني أكثر" ، ثم صاحوا به :"نحن تجار المدينة من الذي أعطاك أكثر؟" ..

قال : "الله " ..ثم فرقها كلها في سبيل الله .. هذا هو الايمان يا إخوان.

وهذا أحد الصحابة في يده بضع تمرات، وقد سمع النبي يرغب في الجنة؛ فقال :"يا رسول الله ليس بيني ،وبين الجنة إلا أن آكل هذه التمرات ". فقال النبي صلى الله عليه وسلم :"نعم " .فقال:" بخ ..بخ" .. فقيل له:" لماذا تبخبخ؟".. قال:" إذا كان ما بيني، وبين الجنة أن آكل هذه التمرات ؛إنها لحياة طويلة".. فألقى التمرات ،وقذف بنفسه في أرض المعركة.. إيمان يا إخوان.

هذا الايمان الذي نتحدث عنه. أحد الصحابة يضربه الكافر -بعد ذلك أسلم ويحكي هذا الخبر- يضربه ضربة بالسيف، فيفلق هام رأسه فلقتين، فيمسح الدم عن رأسه ،ثم يقول "فزت بها ورب الكعبه". هذا إيمان يا إخوان .

الصحابة في إحدى الغزوات، وكانت لحوم الحمر حلالا، فأكلوها ثم جاء عمر بن الخطاب يخبر النبي أن الظَّهر قد قل، أن الرواحل بدأ الناس يأكلوها في غزوة تبوك؛ فأنزل الله على رسوله تحريم لحوم الحمر؛ فأرسل مناد ينادي يقول أنس: "والله لقد أكفأت القدور، وإنها لتفور باللحم" هذه الإستجابة للطلب والايمان بالخبر. هذا كان منهج سلفنا الصالح مع النصوص الشرعية.

الإيمانُ والتَّسليمُ والتَّعظيمُ لنصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ؛ بخلافِ أهلِ البدعِ والضَّلالِ الَّذينَ يُؤمنونَ بِبعضِ النُّصوصِ ويَرُدُّونَ البعضَ الآخرَ؛ بسببِ الجهلِ وَالهوى.

وَالأَدِلَّةُ عَلى هَذَا الأصلِ كثيرةٌ؛ مِنها:

انطلاقاً من قوله تعالى : " **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** "

ويقول الله تعالى : "**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**"

وقال الله تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** "، وهذه شرحناها بالتفصيل.

قال عزوجل :" **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا أما أهل البدعة والضلالة**"

يستهينوا بالنصوص الشرعية، ويسمونا نحن حشوية يعني: أننا لا نفقه هذه النصوص، ونؤمن بما فيها، وإن كانت مخالفة لإصولهم العقلية.

- الفرق وتعظيم النصوص الشرعية:

أما الفرق الكلامية -وسيأتي الكلام عنهم بالتفصيل- يجعلون أصول هذه الأصول فيها ألفاظ من ألفاظ اليونان (الجوهر- العرض- الجسم)، ونحو ذلك...يأتون لهذه النصوص ويجعلونها هي القواعد، ثم يضعون الوحي فيها؛ فما قبلتها تلك القواعد العقلية قبلوه، وما رفضتها تلك القواعد العقلية رفضوه.

كذلك –يا إخواني- الفرق الصوفية يجعلون الوجد، وكلام الشيوخ هو الأساس، ويعرضون الوحي عليه؛ فما وافقه قبلوه، وما خالفه رفضوه.

كذلك الفرق الفلسفية (الفرق الباطنية) تجعل الفلسفة هي الأساس ،ثم تضع كلام الله، وكلام ورسوله عليها. هذه أمور تحتاج إلى تفصيل، ولكنه تنبيه.

أريد أن أبين :

ما سر تعظيم السلف الصالح للنصوص الشرعية وتسليمهم لها؟!!

- مثال: النصوص الشرعية فى الأسماء والصفات

نأخذ في مسألة العقيدة الأسماء والصفات.

أولاً-الكلام في باب الأسماء والصفات هو من **باب الخبر**؛ فهو خبر " بين النفي، والاثبات". إذا الخبر ينتقلون إليه، جاءهم من أين؟ من الله سبحانه وتعالى، فخبر من الله ورسوله، وهو خبر يدور بين النفي، والاثبات. هذا الخبر يكون على ظاهره الذي أراده الله -عز وجل- وأراده رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ فهو خبر من الله، والله -عز وجل- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- هم الذين يخبرون؛ يخبر الله -عز وجل- عن نفسه، ورسوله -صلى الله عليه وسلم- يخبر عن الله، لاشك أن إخبارهم سيكون بأوضح، وأعظم بيان، وبالتالي هذا الإخبار يكون على ظاهره لا يحتاج منا نحن أن نأتي بشيء غير الظاهر؛ فما يظهر منه هو ما أراده الله، أراده ورسوله . **فما هو هذا الظاهر؟** أن يكون الظاهر **من غير تمثيل**؛ عندما يخبر الله سبحانه عن نفسه أنه سميع، بصير، عليم، خبير، حكيم، وأن له وجه، وأن له يدان، وأن له ساق؛ فالخبر على ظاهره بلا تمثيل؛ لأن الله ليس كمثله شيء، وننزه الله -سبحانه -على أن يكون مماثل للمخلوقات بتنزيه، **وننزهه الله** —سبحانه وتعالى- عن النقص، والعيب، ومعناه له معنى، هذا المعننعلمه، هذا المعني هو الذى نتربى من خلاله؛ أن الله —سبحانه وتعالى- سميع يسمع كلامنا، وأنه بصير يبصر أعمالنا، ونعلم أن كثير من هذا الخبر الذي جاء عن الله، وعن رسوله، أن **العقل يدل عليه** ؛ لذا فهذه طريقتنا مع النصوص. النصوص الشرعية في أمور العقيدة خبر من الله؛ فنحن نعظم ذلك، ونسلم به، ونعلم أن الخبر من الله على ظاهره اللائق بالله -جل جلاله -بلا تمثيل، وننزه الله —سبحانه وتعالى- عن النقص، والعيب، ونعلم معاني هذه الأسماء والصفات، ونتربى من خلالها، وأن كثيراً مما ورد في القرآن، والسنة من صفات الله يمكن إثباتها بالعقل أيضا.

نأخذ فاصلاً، ثم نعود إليكم بعد ذلك بإذن الله تعالى.

حياكم الله أيها الأحبة في الله، عدنا إليكم بعد هذا الفاصل، وقد وقفنا قبل الفاصل أن **السلف الصالح** يعظمون النصوص ويسلمون لها، فيؤمنون بما فيها من أخبار، ويمتثلون لما فيها من طلب. **وأما أهل البدعة والضلالة**، فإنهم يستهينون بالنصوص الشرعية.

ننتقل إلى أمر ثاني يتعلق بالنصوص الشرعية.

٢. من ناحية العمل بجميع النصوص.

جمعُ النُّصوصِ الواردةِ في البابِ الواحدِ، وإعْمالُها جميعاً وفقَ المنهجيةِ الصَّحيحةِ؛ بخلاف أهلِ البدعِ والضَّلالِ الَّذينَ يتخذونَ منهجاً مُخالفاً لذلك؛ فيَعتمدونَ على نصٍّ واحد أو أكثرَ، دونَ بَقيةِ النُّصوصِ الواردةِ في البابِ، ثم يجعلونه معارضا للأصول الأخرى، فيتبعون بذلك ما تشابه منه.

○ موقف أهل السنة والجماعة من نصوص الوعد والوعيد:

إن أهل السنه، والجماعه يعملون بجميع النصوص الشرعيه؛ فيجمعون بينها، ومثال ذلك؛ النصوص التي جاءت فى الوعيد يعملون بها، والنصوص التي جاءت فى الوعد يعملون بها.

- **نصوص الوعيد**:- بمعنى أن الله –سبحانه وتعالي- توعد أصحاب الكبائر بالنار، فيعملون بذلك.
- **نصوص الوعد** :- أن الله وعد من أتى بالتوحيد أنه فيغفر له ما دون الشرك، ويغفر الكبائر؛ فيعملون بنصوص الوعيد، ويعملون بنصوص الوعد، وأن أصحاب الكبائر متوعدون بالنار، ويوم القيامة يكونون تحت مشيئة الله؛ إن شاء عفا عنهم (هذه نصوص الوعد)، وإن شاء عذبهم (وهذه نصوص الوعيد)، لكنهم لا يخلدون في النار؛ لأن الله وعدهم بالجنة، لكنهم ليسوا محرمون من النار، بل قد يعذبون بقدر كبائرهم في نار جهنم ؛فعملوا بجميع النصوص أى : بنصوص الوعد ،و نصوص الوعيد.

○ موقف أهل البدعة والضلالة من نصوص الوعد والوعيد:

أما أهل البدعة والضلالة يعملون ببعض النصوص؛ فيعملون بنصوص الوعيد كالخوارج، والمعتزلة، أو يعملون بنصوص الوعد كالمرجئة.

- **المرجئة** : تعمل بنصوص الوعد، وتهمل نصوص الوعيد.
- **والخوارج، والمعتزلة** : تعمل بنصوص الوعيد، وتهمل نصوص الوعد.

○ موقف أهل السنة والجماعة من نصوص القضاء والقدر والإرادة والمشيئة:

أهل السنة والجماعة يعملون بجميع النصوص مثلاً: النصوص الواردة في القضاء، والقدر. فهناك نصوص أن للعبد مشيئه، واختيار، وهناك نصوص تثبت أن كل ما يكون في هذا الكون بمشيئة الله –سبحانه وتعالى-وبإرادة الله. فأهل السنة والجماعة يعملون بالأمرين، والله قد جعل للعبد قدرة، وإرادة، ومشيئه، وإن أفعال العبد مؤثرة، ولكن كل ذلك تحت مشيئة الله تعالى، وبإذنه، وقدرته "**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ". إذا للعبد مشيئة ولكنها تحت مشيئة الله .

يعملون أيضا بالنصوص التي تدل على أن للعبد قدرة، وإرادة، وإختيار؛ ويعملون بالنصوص التي تدل على أن كل ذلك بإرادة، ومشيئة الله تعالى ،وقدرته.

○ موقف أهل البدعة والضلالة من نصوص القضاء والقدر والإرادة والمشيئة:

أما **القدرية**؛ فيعملون بالنصوص التي تدل على أن للعبد قدرة، وإرادة، وإختيار، **ويغلّبون** تلك النصوص على النصوص التي تدل على أن قدرة العبد تحت مشيئة الله تعالى، وبالتالي يقولون أن العبد يشاء أعماله (الشرع)، وأن الله لا قدرة له على تلك الأعمال؛ فعظموا قدرة العبد، وعظموا الشرع، ولكنهم قصروا في قدرة الله، وأخرجوا بعض الأعمال من أن تكون تحت إرادة الله -سبحانه وتعالى- وتحت مشيئته.

كذلك **الجبرية،** عملوا بالنصوص التي تدل على قدرة الله تعالى، على وإرادته حتى أنهم أضعفوا قضية أن للعبد قدرة، وإرادة، وإختيار، وقالوا أن العبد لا قدرة له، ولا إرادة حتى قال بعضهم "**العبد كالريشة في مهب الريح**".

انظروا يا إخوان، عندما يعمل الإنسان ببعض النصوص، ويهمل بعضها الآخر، هذا التفريق للنصوص الشرعية سبب للانحراف، والضلال.

٣. من ناحية الأحكام والتشابه.

○ موقف أهل السنة والجماعة من النصوص المحكمة والمتشابهة:

أما **أهل السنة والجماعة**، فمن صفاتهم مع النصوص الشرعية أنهم يعملون بجميع النصوص، والدليل؛ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل على الصحابة، وهم يتحدثون في القضاء والقدر، فهذا يأتي بآيات القدر، وهذا يأتي بآيات

يفهم منها الجبر، وهذا يأتي بآيات يفهم منها أن للإنسان القدرة على أفعاله؛ فهذا يضرب بآية، وهذ يضرب بآية، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- غضب منهم غضباً شديداً كأن حب الرمان تفقع فى وجهه، ثم قال -صلى الله عليه وسلم- :" مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذّب بعضه بعضاً، بل يصدقُ بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردّوه إلى عالمه".

أيها الأحبة فى الله، كذلك من صفات أهل السنة والجماعة بالنسبة للنصوص، النصوص فيها شيء من التشابه بمعنى؛ يكون هذا اللفظ مجمل يحتمل أكثر من قول؛ **فأهل السنة والجماعة** من خصائصهم: **أنه ما تشابه عليهم من النصوص الشرعية، فسروه في ضوء المحكم.**

- **موقف أهل البدعة والضلالة من النصوص المحكمة والمتشابهة:**

أما **أهل البدعة والضلالة**، فيجعلون النصوص المتشابهة، يأخذون جزء منها، هذا الجزء قد يوافق بدعتهم، فيأخذون هذا الجزء الموافق لبدعتهم، ويجعلونه أصل، ثم يأتون للنصوص الشرعية المحكمة في الكتاب والسنه، ثم يفسرون المحكم في ضوء المتشابه الموافق لأصولهم.

- **مثال يوضح موقف أهل السنة والجماعة وأهل البدعة والضلالة من النصوص المحكمة والمتشابهة:**

مثال الله -سبحانه وتعالى- أخبر أن الجنة يدخلها الإنسان بعمله.

"**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**"، والعمل إذا اطلق يدخل فيه العمل القلبي، وهو (الايمان)، ويدخل فيه عمل الجوارح؛ فالانسان يدخل الجنة بالقول، والعمل، وأن الايمان قول، وعمل. هذا الأمر محكم عندنا، وعمل الجوارح ركن من أركان حقيقة الايمان الذي يستحق به الإنسان دخول الجنان. هذا الأمر محكم. يأتي إنسان فيجد نص متشابه، هذا النص قد يكون شاذاً. مثال: في حديث الجهنمين هناك لفظة شاذة بمعنى يخرج من النار أناس لم يعملوا خيراً قط.

أهل السنة والجماعة يفسرون هذا النص المتشابه في ضوء المحكم. المحكم أنه لابد من العمل لدخول الجنة؛ فيأتون لهذا النص المتشابه، ويقولون لم يعمل خيراً قط، العمل معروف من كثرة الصلاة، والصيام؛ لكنه قد يكون أنه أسلم، ثم دخل أرض المعركة؛ فقتل، ولم يكن له نصيب من الصلاة، والصيام كغيره. فقال: دخل الجنة ولم يعمل خيراً قط . وقد يكون كحديث قاتل المئة نفس؛ هاجر إلى القرية التى فيها أناس، فمات في منتصف الطريق،

وبعض الروايات تقول أنه كان أقرب للقرية بشبر، فأخذته ملائكة الرحمة، وبعض الروايات تقول أنه دخل الجنة، ولم يعمل خيراً قط، وهو تاب، وهاجر.

في آخر الزمن، بعض الناس لا يعرف من الدين إلا الله الله؛ فعمل فترك الشرك، وقال الله، فلم يعمل خيراً قط؛ فيفسرون هذا النص المتشابه في ضوء المحكم من دين الإسلام، وأن الدين قول ،وعمل، وأن الايمان المنجي عند الله ؛ هو ماكان مكون من قول، وعمل.

يأتي هؤلاء **المبتدعة**، ويأخذون هذا النص المتشابه -وقد تكون هذه الرواية شاذة كما قلنا- ويجعلونها المحكم، ويفسرون حقيقة الإيمان في ضوء هذا المتشابه، ويخرجون العمل بالكلية -من عمل القلوب وعمل الجوارح- يخرجونه من الإيمان أو يخرجون عمل الجوارح من الإيمان، ويجعلون الإيمان مجرد قول أو عمل قلبي فحسب، لا يستلزم الصلاة والصوم والزكاة والحج. هذه طريقة **أهل البدعة والضلالة**.

نقف هنا قليلاً عند **الإحكام، والتشابه** حتى نفهمها.



ورد فى القرآن وصف القرآن بأنه كله محكم "**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ** ". معنى كله **محكم** أي؛ كله متقن، وورد وصف القران أنه متشابه "**مَّثَانِيَ**" كله متشابه، القرآن كله **متشابه**، ما معنى أنه متشابه؟ أي؛ كله متماثل متناسب يصدق بعضه بعضاً، ليس فيه أي تناقض، وصفه بأنه كله محكم أي متقن، وصفه كله متشابه أي متماثل يصدق بعضه بعضا؛ فالتشابه العام لا ينافي الإحكام العام، بل هو مصدق له.

الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضاً، ولا يناقض بعضه بعضاً. وورد في القرآن وصفه بأن بعضه محكم، وبعضه متشابه، بعضه محكم أي؛ فصل بيّن لا يشتبه على أحد يعني مثلا: " **تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** " يعني عشرة هذا أمر محكم ، وصيام ثلاثة أيام أمر محكم. وبعضه متشابه أي؛ يشبه بعضه من وجه، مع مخالفته معه في وجه آخر.





وهنا نأتي لموضوع العقيدة (الأسماء والصفات)

الله -سبحانه- وصف نفسه بصفات، ووصف عباده بصفات، هنا -يقع هذا النص هنا- قد يفهم من النص أنه تشابه، هو متشابه من ناحية الكيفيات، أما من ناحية المعنى؛ فهو ليس متشابه، هو فصل. نفهم من معاني السمع ،من معاني البصر، من معاني القدرة ما يليق بالله -سبحانه وتعالى- ولكن كيفية صفات الله من المتشابه، وهنا ما تشابه علينا، نرده الى الله -سبحانه وتعالى- عملاً بقوله جل جلاله "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ" هنا -فى موضوع الأسماء والصفات- لا يعلم تأويل الأسماء والصفات لله --سبحانه وتعالى- حقيقتها، وكيفيتها إلا الله جل جلاله، لذلك الراسخون فى العلم يقولون "وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ". فلأن الله -سبحانه وتعالى- لم نر ذاته، ولأنه ليس له مثيل فيقاس عليه، ولأنه لم يرد في الخبر الصادق الموضح لكيفية صفات الله فصارت كيفية صفات الله من المتشابه الذي نرد علمه إلى الله جل جلاله، أما المعاني فنعرفها؛ فالمقصود في باب الأسماء والصفات قد يقال أن كيفية صفات الله من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله؛ لذلك نحن -التأويل بمعنى معرفة كيفيته- لا ندخل فى هذا الأمر، نترك أمره إلى الله سبحانه وتعالى.

من أراد أن يبحث، ويريد أن يعرف معانى كيفية صفات الله؛ فهذا يدخل في المتشابه، أو يريد أن يحرج الآخرين فيقول كيف ذلك؟ من أجل أن يوقعهم إما في التفريط أو فى التعطيل هذا كذلك من **أهل البدع**، فأهل البدع **يتبعون** --أيها الأحبة- **المتشابه**، ويجعلونه محكم، ويفسرون المحكم في ضوء المتشابه، أما أهل السنة والجماعة ما تشابه عليهم، فسروه في ضوء المحكم ، المحكم عندنا -في موضوع الأسماء والصفات- أن الله" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ". إذًا نحن نثبت السمع، والبصر، أما كيفية سمع الله، وما كيفية بصر الله؟! ليس كمثله شيء؛ فنفوض الكيفية إلى الله، مع معرفتنا للمعاني.

نلخص ونختم وندع فاصل ..

المحكم فى باب الأسماء الصفات أن الله ليس كمثله شيء، المتشابه كيفية صفات الله --سبحانه وتعالى- كيفية سمعه، كيفية بصره، كيفية يده، كيفية وجهه هذه نكلها إلى الله مع اعتقادنا بأن الله --عز وجل- ليس كمثله شيء -هذا هو المحكم- فلا نقع كالممثلة، ولا نقع في طريق المفوضة، ولا نقع في طريق التعطيل، بل نفسر هذه المتشابهات في ضوء المحكم، وهذا **منهج أهل السنة والجماعة**.

فاصل قصير ثم نعود إليكم بإذن الله.

حياكم الله أيها الأحبة فى الله، وعدنا إليكم بعد الفاصل، وخرجنا أن من صفات **أهل السنة والجماعة** مع النصوص الشرعية، أن ما اشتبه عليهم فى النصوص كان مجملاً ويحتمل أكثر من معنى، يفسرونه فى ضوء المحكم، لكن **أهل البدعة والضلالة** يأتون إلى المتشابه، فيجعلونه أصلاً ويفسرون المحكم في ضوئه. مثال عند الصوفية:

○ الفرق بين أهل السنة والجماعة، وأهل البدع (مثال عن الصوفية):

المحكم عندنا في ديننا أن العبادة نتوجه بها إلى الله سبحانه وتعالى ؛الدعاء، والخوف، والذبح، والنذر... يأتون للنصوص متشابه قد تكون موضوعة، حديث موضوع ((إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور)) يجعلونه أصلاً، ويفسرون أن الدعاء، والإستعاذة، والإستغاثة ؛ هذه العبادات في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، لا تصرف إلا لله ، فهذه أمور محكمة، يفسرون المحكم في ضوء هذا المتشابه، ويتوجهون بتلك العبادات إلى أولئك الأموات، ثم يقولون إذا لم تعتقد أنه خالق، مالك، مدبر؛ فإنه يجوز، وهذا هو الضلال -عياذا بالله-، وهذا الشرك الأكبر، وهو صرف العبادات التي تصرف خالصة لوجه الله تصرف إلى هؤلاء الأموات بناءاً على هذا النص المتشابه.

وكذلك من **صفات أهل السنة والجماعة**، وموقفهم مع النصوص الشرعية؛ أنهم يعتصمون بها كما قال الله تعالى: "**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**". حبل الله: دين الله، حبل الله: الوحي.

الاعتصامُ بالكتاب والسنة؛ فهما الهُدى والنُّور، عَلى نَقيضِ منهجِ أهلِ والبدع والضَّلالِ الذينَ يَعتمدونَ عَلى غَيرِ الوحي؛ كما هُو الحالُ مثلاً عِندَ الصُّوفيةِ الذينَ يَعُدُّونَ أقوالَ مَشايخِهم وَمَناماتِهم مَصدراً للتَّشريعِ، ودَليلاً مِنْ أدلَّةِ الدِّينِ.

فهم يعتصمون، ويلتفون حول النصوص الشرعية كما يلتف الأسوار حول المعصم، ويتمسكون بها تمسكاً عظيماً.

والنبى -صلى الله عليه وسلم- قد وصانا بهذا ، وبيّن أن الله –سبحانه وتعالى- يرضى عنا إذا نحن اعتصمنا بحبل الله جميعاً، ولم نتفرق، لم نفرق هذا الكتاب وهذه السنة .

فماذا يصنع أهل السنة والجماعة؟ يتمسكون بالكتاب، و السنة، ثم ما خالف الكتاب، والسنة اتهموا هذا المخالف أن هذا المخالف ضال، عاجز، محتار؛ لكنهم لا يقدمون شيئاً على كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

أما **أهل البدعة والضلالة،** إذا أردت أن تعرف هذا الشخص من أهل السنة، والجماعة أم هل البدعة، والضلالة اطرح النص الشرعي أمامه؛ إذا وجدته يعتصم بالنص الشرعي، و يتمسك به، ويقدمه على أهوائه، وآرائه، وأذواقه، وكل شيء؛ فإعلم أن هذا من أهل السنة والجماعة، وإذا رأيت الشخص تطرح له قال الله، وقال رسوله، ثم مباشرة يقدم رأيه، وهواه، ويقول يجب أن نفسر النص موافق للرأي، والهوى؛ فإعلم أنه من أهل البدعة والضلالة.

٤. موقف العقل والنصوص الشرعية.

هنا سنأخذ موضوع العقل، والنقل عند السلف، والموقف بينهما في النصوص الشرعية :

أحيانا تسمع هل هناك تعارض بين العقل، والنقل؟ يتبادر في ذهنك العقل المقصود في الشرع. لا، انتبه أنت على حق، لكنهم يقصدون بالعقل شيء آخر. انتبه لا تدخل معهم في حوار حتى تعرف ماذا يقصدون بالعقل.

○ ما المراد بالعقل عند أهل السنة والجماعة؟

العقل عند أهل السنة؛ هو الغريزة المدركة التي خلقها الله -عز وجل- ندرك بها الضار من النافع ، بمجرد ما تنمو هذه الغريزة عند الطفل يعرف أن هذا الأمر حار أم بارد هذه تمرة هذه جمرة، عندها نقول أصبح يميز(هذا هو العقل)، ثم يبدأ ينمو، فيصبح يعرف العلوم الضرورية، مثلاً الطفل تأتي له بحبة البسكويت، تأتي تكسرها يغضب لماذا؟ لأنه يريدها كاملة، لأنه يعرف أن النصف أقل من الكل ؛هذه تسمى العلوم الضرورية الشمس مشرقة ،النار محرقة، الماء يروي، الطعام يشبع، هذه علوم ضرورية، وعلوم نظرية يقينية كلما استزاد الإنسان من العلوم النظرية اليقينية، كلما نمى عقله، وكذلك العمل بمقتضى العلم هذا يسمى عقل عندنا.

هذا العقل، والنقل عندنا كتاب الله، وسنة رسوله، والسنة جميعها عندنا ما صح عن النبي؛ سواء كان متواتراً أم آحاداً.

○ ما المراد بالعقل عند أهل البدعة والضلالة؟

لكن انتبهوا للقضية الخطيرة أن العقل عند أهل البدعة والضلالة كلٌ يفسره بمقتضى الأشياء التي يؤمن بها.



فالعقل عند الفرق الكلامية، ماذا يقصدون به؟

العقل هو الأصول، والقواعد التي في علم الكلام، وليس العقل الذي عندنا الذي يعرفه الإنسان.

العقل عندهم كالتالي؛ هذه الطاولة جوهر، وهذا اللون عرض، وهذه النظارة جوهر الآن رميت النظارة حركة تحرك النظارة هي عرض، ثم توقفها أي تسكن هذا السكون عرض، هذا العالم مكون من أعراض، وهذه الأعراض حادثة، لأن العرض لا يبقى زمانين، وأن الجواهر لا تخلو من الأعراض، إذاً الجواهر حادثة؛ فلما كانت الأعراض حادثة، والجواهر حادثة، والعالم مكون من جواهر، وأعراض، إذًا العالم حادث، وكل حادث لابد له من محدث، هذا المحدث لايمكن أن يكون كالعالم، لا يمكن أن يكون جوهر، وعرض.

الجوهر إذا تكون من جوهرين سمي" جسم"، إذًا هذا الخالق ليس جوهراً، ولا عَرَضاً، ولا جسماً، لا تحل به الحوادث. هذا الكلام يسمونه عقل. انتبهوا،هذا الكلام -وأغلبه مصطلحات يونانية، وأغلب هذه المصطلحات اليونانية مجملة، وهي تحتمل حقاً، وباطلاً- يسمونه عقل، وبالتالي؛ ماذا يصنعون؟ يأتون بالنصوص الشرعية، ويضعونها فيها. فمثلاً، الذين يقولون أن الله لا تقوم به الصفات الفعلية كالفرقة القلابية الأشعرية المتريديه. فأي صفة فعلية وصف الله بها نفسه عرضوها في علم الكلام، قالوا هذا العقل؛ فالله لا تقوم به الحوادث، والصفات الفعلية أحدها حادث إذا الله لا تقوم به الصفات الفعلية ؛ فيقومون بتأويلها، إذا كانت هذه الأحاديث آحاد ردوها، إذا كان من القرآن أو من السنة المتواترة أولوها أو فوضوها، وقالوا هذا هو المنهج الصحيح، وهذا خطأ هذا ليس اعتصام بالقران ،والسنة.

- هل يتعارض العقل والنقل عند أهل السنة والجماعة ؟

ثم بالنسبة لإمكانية التعارض، هل أهل السنة والجماعة ممكن أن يتعارض العقل والنقل عندهم ؟

الغريزة المدركة التي أعطانا الله -عز وجل- إياها، والوحي من الله، والله أمرنا أن نعمل عقولنا فى الوحي نتأمله، ونتدبره، فكيف يكلفنا الله بتدبر ما لا يقبله العقل؟

هذا مستحيل، وبالتالي **عندنا أهل السنة والجماعة لا يمكن التعارض البتة بين العقل والنقل،** لأن كلاهما من عند الله –عز وجل- والله أمرنا أن نعمل عقولنا فى النصوص الشرعية فهمًا، وتدبرًا، وحفظاً، وبالتالي هذه الأمور كلها يعقلها الإنسان .

أما عند المتكلمين يمكن التعارض وهو واقع عندهم مثل ما قدمنا.



○ ما الحل عند أهل السنة والجماعة إذا كان هناك توهّم، تعارض؟

يعتصمون بهذا الوحى الإلهي، فيتمسكون به، ويتهمون عقولهم وآراءهم، ويقولون هي التي لم ترق إلى فهم كلام الله، وكلام رسوله؛ فيقولون يجب الايمان به، ولو لم يفهم الإنسان معناه، ويقولون قد يأتي في الشرع ما تحار فيه العقول، ولكن لا تحيله العقول. هناك في شرعنا ما يحار فيه العقل ،كأمور القبر؛ لأنها من أمور اليوم الآخر فهي وليست من جنس أمور الدنيا، وبالتالي قد يحار العقل في كيفية ما يكون في القبر، أو بكيفية ما يتعلق بصفات الله، أو كيفية خلق الملائكة، فهذه الأمور نؤمن، ونسلم بها، ولكننا نعلم يقيناً أن هذه الأمور مقبوله عقلاً، لكن العقل يحار فيها.

فنحن نرى يوجد شخصان ينامان بجوار بعضهم البعض، أحدهما يعيش في أحلام سعيدة كأنه في الجنة، والآخر يعيش في عذاب -عياذا بالله- كأنه في النار، ثم هذا يفرح أنه استيقظ من نومه، وهذا يغضب؛ لأن هذا كان في لذة، وهذا كان في ألم، فالامر عقلاً ممكن، لكن الكيفية نحار فيها، كونها من جنس كيفيات اليوم الآخر، وليس من جنس كيفيات الدنيا، وهكذا ما يتعلق بصفات الله سبحانه.

فنحن عند التعارض، أو التوهم نقدم الوحي نقدم الوحي على الآراء، أما المتكلمون، فيقدمون عقولهم، ونقصد بالعقل هنا؛ يقدمون القواعد التي في علم الكلام على الوحي الإلهي.

والله إني أعجب أشد العجب من أناس يعتبروا في الذكاء وصلوا لدرجة عالية، طريقتهم فيها للأسف تحزن الإنسان، لكنه أمر مضحك جاءنا شخص، ودل على طبيب استشاري عظيم، وذهبت لإستشاري في طب الأسنان، فكتب لي وصفة ،وقال :"لا استطيع فعل شيء حتى تأخذ المضاد لمدة أسبوع ،ثم تعود إليّ "، وكتب لي ثلاث أنواع من الأدوية، فعدت إلى صاحبي الذي دلني على الإستشاري، فقرأ الوصفة، وقال :"هذه لا تأخذها، وهذه تأخذها، وهذه تأخذها" ، فقلت له :"لماذا؟ الطبيب قال خذ الثلاثة أدوية، وأنت قلت اثنين. أسمع كلام من؟" فقال:" إذا قدمت كلام الطبيب على كلامي، فقد طعنت بي، وإذا طعنت بي، فقد طعنت بالطبيب".. هذا أمر مضحك بالله هذا الكلام منطقي!!!

أو أركب تاكسي ،وأقول لصاحبه:"أوصلني للمفتي، لا أعرف مكتبه " فذهب بي إلى مكتب المفتي ،وعندما وصلت أردت استشارة المفتي في مسأله، فلما عدت لصاحب التاكسي، وقلت :"المفتي قال لي حرام "، قال:" لا، ليس الحكم حرام"، قلت:" أنت صاحب التاكسي، ما علاقتك؟ "، قال:" أنا الذي دللتك على مكتب المفتي، وأخبرتك هذا هو المفتي، فإذا طعنت في كلام المفتي، فقد طعنت بي، وإذا طعنت بي، فقد طعنت بالمفتي "

هذا كلام مضحك ..

هذه صورة يقولون العقل دلنا على كلام الله، وصفات الله، وإن الله متكلم، وإن الوحي كلام الله؛ فيقولون إذا قدحت في أصولنا العقلية، أنت قدحت في النقل؛ لأنك بأصولنا العقلية، عرفت صحة النقل، فإذا قدحت بها، فقد قدحت في النقل. نقول هذا كلام متهافت؛ لأن العقل دل على وجود الله لا شك في ذلك. وعندنا طرق أخرى نستدل بها على وجود الله، ومنها العقل، وعرفنا أن الكلام هو كلام الله، انتهى دورك أيها العقل. دورك الآن أن تتأمل، تتدبر، تحفظ، تستنتج، تستنبط أما أن تقول الحكم في هذا الموضوع، هذا لا يمكن.

- هل العقل مستقل بأمور العقائد ؟

عندنا (**أهل السنة والجماعة**) نحن العقل تابع للنقل، صحيح العقل يدرك العقائد على وجه الإجمال، لكنه ليس مصدراً مستقلاً، أما عند **أهل البدع والضلالة**؛ فالعقل مستقل، ومصدر لمعرفة أمور العقائد، ومقدم على النقل في ذلك.

أستودعكم الله إلى حلقة أخرى ،وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وجزاكم الله خيرا